أَزْمَة هُوِيَّة

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: إِشَعْيَاء ١: ١-٩؛ إِشَعْيَاء ١: ١٠-١٧؛ إِشَعْيَاء ١: ١٨؛ إِشَعْيَاء ١: ١٩-٣١؛ إِشَعْيَاء ٥: ١-٧.

آية الحفظ: «هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ» (إِشَعْيَاء ١: ١٨).

ضياع في أرض النسيان. لو أنك قُدت سيارتك في إيرلندا عبر أزقة وحواري الريف الضيقة، فقد تجد الطريق مسدودًا أمامك بقطعان الماشية وهي تترفق في سيرها صوب البيت بعد تناولها الطعام، وحتى إذا لم يكن معها الرَّاعي فهي تتوجه إلى حظيرة صاحبها بمفردها. فهي تعرف أين تسكن ومَن هو صاحبها.

ولو فقد طفل صغير طريقه في متجر أو حانوت كبير، وانفصل ثم هتف قائلًا، «لقد فقدت أمي!». فهو قد لا يعرف أين هو بالضبط أو أين أمه، ولكنه وسط ذلك البحر الزاخر من الأمهات اللاتي تَسِرنَ عبر المتجر الواسع، سيعرف أمه بالذات مِن وسطهن جميعًا.

ومن المحزن أنه على خلاف حتى تلك البقرات والماشية الأيرلندية (أو ذلك الطفل الصغير)، نسي شعب يهوذا أنهم مِلك للرب، الآب السماوي، وبالتالي فقدوا هويتهم الحقيقية بوصفهم شعب العهد. «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ» (إِشَعْيَاء ١: ٢، ٣).

سنلقي نظرة هذا الأسبوع إلى عمل الله في استعادة شعبة إليه.

* نرجو التّعمّق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السّبت القادم، الموافق ٢كانون الثاني (يناير).

اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ (إشعياء ١: ١- ٩)

يكشف سِفر إِشَعْيَاء باختصار عن هُوِيَّة كاتب السِّفر على أنه («ابْنِ آمُوصَ»). أما مصدر رسالته فهي الرؤيا. وموضوعه هو (مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم، أثناء حُكم أربعة ملوك). ويُعرِّف الموضوعُ أيضًا أولئك الذين استمعوا لإِشَعْيَاء على أنهم شعب أمته الذين عاشوا في زمانه. وقد تحدث إليهم النَّبِيّ بخصوص حالتهم الراهنة ومصيرهم.

وإذ ذَكَرَ إِشَعْيَاء الملوك الذين عمل هو في وقتهم، فهو يحدد بالتمام نوع الجمهور الذي استمع إليه ويربط سِفره بالأحداث التاريخية والسياسية التي وقعت في زمن مُحدَّد. وهذا الزمن المحدَّد يوجهنا بالتالي إلى ما جاء في ٢ملوك ١٥ – ٢٠؛ ٢أخبار ٢٦ – ٣٢.

اقرأ إِشَعْيَاء ١: ٢ ما هو جوهر الرسالة المتضمنة في هذه الآية؟ وما الذي يقوله الله هنا؟ وكيف تجلت هذه الفكرة ذاتها عبر التاريخ المُقدَّس برمته؟ وهل يمكن أنْ يُقال الشيء ذاته على الكنيسة المسيحية اليوم؟ أوضح جوابك.

لاحظ كيف تبدأ رسالة إِشَعْيَاء بالكلمات، «اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ». (قارن مع تثنية ٣٠: ١٩؛ ٣١: ٢٨). فالله لا يقصد هنا أن ينوّه إلى أنَّ السّماء والأرض في حد ذاتهما يمكنها أن يسمعا ويفهما، بل هو بالأحرى يفعل ذلك بهدف التشديد والتركيز على نقطة محددة.

عندما كان أي مَلك مِن ملوك الشّرق الأدنى مثل الإمبراطور الحثي، يدخل في معاهدة سياسية مع حاكم آخر أضعف منه، كان يناشد آلهته كشهود على المعاهدة. وذلك لكي يشدد على أن أي انتهاك للاتفاقية سيتم اكتشافها حتمًا وينال العقاب اللازم. ولكن عندما دخل مَلك الملوك الإلهي في عهد مع بني إسرائيل في أيام موسى لم يناشد آلهة أخرى كشهود. فهو بوصفه الإله الحقيقي الوحيد، دعا، عوضا على ذلك، السَّمَاوَاتُ والأرض لتلعب هذا الدور (راجع أيضًا تثنية ٤: ٢٦).

اقرأ بحرص وتمعن إِشَعْيَاء ١: ١-٩. ثم لخّص على السطور التالية الخطايا التي انغمس فيها شعب يهوذا. لاحظ بوجه خاص أيضًا نتائج تلك الخطايا. ما هو ذنب يهوذا وما الذي ترتب على ذنبهم هذا؟ وفي الوقت ذاته ما هو الرجاء الذي نجده في العدد التاسع؟

الاثنين

٢٨ كانون الأول (ديسمبر)

طقوس وشعائر فاسدة وبالية (إشعياء ١: ١٠-١٧)

اقـرأ إِشَـعْيَاء ١: ١٠. لمـاذا تعتقـد اسـتخدم إِشَـعْيَاء سـدوم وعمـورة كاسـتعارة مجازية؟ ومـا هـي النقطـة التـي أراد الله توجيـه الانتبـاه إليها؟

اقـرأ إِشَـعْيَاء ١: ١١-١٥. مـا الـذي يقولـه الله لشـعبه هنـا؟ ولمـاذا رفـض الله العبـادة التـي قدَّمهـا لـه شـعبه؟

أن الأيـدي ذاتهـا التـي قدمـت الذبائـح ورُفِعـت فـي الصـلاة كانـت ملوثـة بـدم الأبريـاء والعنـف والظلـم والقمـع (إِشَـعْيَاء ١: ١٥؛ ٥٨: ٣، ٤). فبإسـاءاتهم لأعضـاء آخريـن فـي مجتمـع العهـد، كانـوا يظهـرون احتقارهـم للـرب حامـي شـعبه وحصنهـم الحصيـن. فالخطايـا التـي ارتكبـت فـي حـق الآخريـن كانـت خطايـا موجهـة ضـد الله.

مـا مـن شـك أن الله نفسـه هـو الـذي وضـع أسـاس نظـام العبـادة الطقسـية (لاوييـن ١-١٦) وَأَقَـرَّ أن يكـون هيـكل أورشـليم هـو المـكان المناسـب لهـذه العبـادة (١ملـوك ٨: ١٠ و١١)، ولكـن كان الهـدف مـن الطقـوس أن تمـارس ضمـن نطـاق العهـد الـذي أبرمـه الله مـع ذلـك الشـعب. فقـد كان عهـد الله مـع إسـرائيل هـو الـذي جعـل فـي الإمـكان أن يسـكن بينهـم فـي المَقدِس/الهيـكل. ولهـذا كانـت الطقـوس والصلـوات التـي تُمـارس وتُرفـع هنـاك شـرعية فقـط إذا كانـت تعبِّـر عـن أمانـة الشـعب لـه ولعهـده، والذيـن قدمـوا ذبائحهـم دون أن يتوبـوا عـن أفعالهـم الظالمـة تجـاه الأعضـاء الآخريـن لمجتمـع العهـد، كانـوا يشـتركون بذلـك فـي طقـوس باطلـة. وهكـذا لـم تكـن ذبائحهـم عديمـة الجـدوى وحسـب - بـل واعتبـرت خطيـة عليهـم، كانـت طقوسـهم السـطحية تشـير إلـى الـولاء بينمـا دلـت تصرفاتهـم علـى أنهـم انتهكـوا العهـد.

اقـرأ إِشَـعْيَاء ١: ١٦، ١٧. مـا الذي أمر الله شـعبه أن يفعلوا؟ كيف تتـوازى هذه الآيات فـي مضمونهـا هـذا مع ما قاله المسـيح في متي ٢٣:٢٣ – ٢٨؟ وما هي الرسـالة التي نجدهـا لأنفسـنا اليـوم في هذه الآيـات وفي المضمون الـذي جاءت فيه؟

نقاش حول الغفران (إشعياء ١: ١٨)

اقرأ إِشَعْيَاء ١: ١٨. وبعد أن تقرأها عدة مرات، اكتب ما تعتقد أن الله يقوله هنا (اقرأ بعض الآيات بعد هذه الآية لتعرف المضمون الذي جاءت فيه).

قدم الله أدلة دامغة على أن شعب يهوذا المتهمين، قد أذنبوا بانتهاك الاتفاقية (إِشَعْيَاء ١: ٢-١٥)، وقد ناشدهم أن يصلحوا طرقهم (إِشَعْيَاء ١: ١٦، ١٧). وهذا الالتماس إنما يدل على وجود رجاء بعد. وإلا فلماذا يناشد الله المجرمين الذين يستحقون الإعدام، أن يصلحوا طرقهم؟ وكيف يمكن لسجين حُكم عليه بالموت أن ينصف المظلوم ويقضي لليتيم ويحامي عن الأرملة (إِشَعْيَاء ١: ١٧)؟ ولكن عندما يقول الله، «هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ» (إِشَعْيَاء ١: ١٨)، ندرك أنَّ الله ما زال يسعى للتفاهم معهم وإقناعهم بالتوبة والعودة عن طرقهم الشريرة مهما كانت الهوة السحيقة التي تردوا فيها في الْخَطِيَّة.

يقول الله لهم أن خطاياهم الحمراء ستصير بيضاء كالصوف. لماذا توصف الخطايا باللون الأحمر؟ لأن الأحمر هو لون الدم (دم الذنب) الذي امتلأت به أيدي الشعب (إِشَعْيَاء ١: ١٥). واللون الأبيض يشير طبعًا إلى الطهارة والخلو من الذنب. فالله يعرض عليهم هنا أن يغيّرهم، وهذه هي ذات اللغة التي استخدمها الملك داود عندما صرخ إلى الله طالبا الغفران عن خطية الزنا مع بَثْشَبَع وقتله لزوجها (اقرأ مزمور ٥١: ٧، ١٤). والمناقشة التي يقدمها الله في إِشَعْيَاء ١: ١٨ هي بمثابة العرض الذي يقدمه لشعبه بغفران خطاياهم!

كيف تعمل عطية الله بالغفران كمناشدة موجهة إليهم لكي يغيروا طرقهم؟ قارن إِشَعْيَاء ١: ١٨مع إِشَعْيَاء ٤٤: ٢٢.

والآن نرى الهدف خلف إنذار الله وتهديده اللاذع لشعبه. فهذه الإنذارات لا تدل على أنَّ الله رفض شعبه، وإنما تهدف بالأحرى إلى إرجاعهم إليه ثانية. إنّ عرض الله بالغفران هو الحجة العظيمة التي تدعم التماسه للشعب بأن يطهّروا أنفسهم أدبيًا (إِشَعْيَاء ١: ١٦، ١٧). غفران الله هو الذي يتيح لهم أن يتغيروا بقوته. هنا نرى بذار الميثاق الجديد الذي أنبئ به في إِرْمِيَا ٣١: ٣١ - ٣٤ والذي نجد فيه الغفران هو أساس العلاقة القلبية الجديدة مع الله. فنحن نبدأ بِدَين كبير لا يمكننا دفعه ثانية. ومن هذا المركز المتواضع الذي فيه نُقِرَّ بحاجتنا إلى الغفران، نكون على استعداد لقبول كل ما يمنحنا إياه الله.

أن تَأكل أو تُؤكل (إشعياء ١٩: ١ - ٣١)

اقـرأ إِشَـعْيَاء ١: ١٩- ٣١. مـا هـو الموضـوع الـذي يظهـر هنـا ويتجلـى أيضـا عبـر الكِتَـاب المُقَـدَّس كلِّـه؟

لاحـظ الترتيـب المنطقـي فـي إِشَـعْيَاء ١: ١٩، ٢٠. فلـو اختـار الشـعب أن يسـتمعوا إلـى الله ويطيعـوه لأكلـوا خيـر الأرض (إشـعياء ١: ١٩). ولكنهـم فـي المقابـل إذا رفضـوا عرضـه بالغفـران والاسـتعادة، وتمـردوا عليـه، يؤكلـون بالسـيف (إشـعياء ١: ٢٠). الاختيـار لهـم. تتضمـن هاتـان الآيتـان إذًا، وعـدًا مشـروطًا ولعنـة مشـروطة.

يُكـرّر الأصحـاح الأول مـن إِشَـعْيَاء كلمـات موسـى المسـجلة فـي تثنيـة ٣٠: ١٩ فـي الوقت الـذي تأسـس فيـه العهـد مـع الأمـة الإسـرائيلية: «أُشْـهِدُ عَلَيْكُـمُ الْيَـوْمَ السَّـمَاءَ وَالأَرْضَ. قَـدْ جَعَلْـتُ قُدَّامَـكَ الْحَيَـاةَ وَالْمَـوْتَ. الْبَرَكَـةَ وَاللَّعْنَـةَ.»

لاحـظ أنـه لـم يوجـد موقـف علـى الحيـاد فيمـا قالـه موسـى. فإمـا الحيـاة أو المـوت، البَركـة أو اللعنـة. لمـاذا لا يوجـد أمامنـا سـوى أحـد الاختياريـن فقـط، حسـب رأيـك؟ ولمـاذا لا يوجـد أي مجـال للمسـاومة؟

تلخّـص كلمـات موسـى هـذه سلسـلة البَـركات واللعنـات التـي جـاء فـي نهايـة إبـرام العهـد وتأسيسـه فـي تثنيـة ٢٧-٣٠ (قـارن لاويـن ٢٦). وتتضمـن عناصـر هـذا العهـد:

١. إعادة ذِكر ما فعله الله لهم.
٢. ضرورة التقيد بالشروط والوصايا للمحافظة على العهد.
٣. الإشارة إلى الشهود.
٤. التذكير بالبَركات واللعنات لتحذير الناس مما سيحدث إنْ هم انتهكوا شروط العهد.

وقـد اتضـح أن هـذه العناصـر ذاتهـا تظهـر بـذات الترتيـب فـي المعاهـدات السياسـية بين الشـعوب الأخـرى مـن غيـر الإسـرائيليين، مثـل الحثييـن وغيرهـم. ولهـذا فـالله إذ أسـس عهـده مـع الإسـرائيليين، اسـتخدم نمطًـا كانـوا علـى درايـة بـه ليطبـع علـى أذهانهـم طبيعـة العلاقـة الملزِمـة المشـتركة بينهمـا ونتائـج انتهـاك المعاهـدة التـي اختـاروا الدخـول فيهـا. وكانـت الفوائـد المحتملـة لهـذه المعاهـدة عظيمـة. ولكـن إذا نقـض الشـعب المعاهـدة وتقاعسـوا عـن شـروطها فسـينتهي بهـم الحـال إلـى أسـوأ ممـا كانـوا عليـه فـي البدايـة.

كيف اختبرت في مسيرتك المسيحية مبدأ البَركات واللعنات الذي يتجلى أعلاه؟

نشيد حُبّ ينذر بالشّر (إِشَعْيَاء ٥: ١- ٧)

اقرأ نشيد الحُبّ في الآيات السابقة. ما معنى هذا المَثَل؟

لا يوضح الله معنى المثل إلا في النهاية، في العدد ٧. فهو إذ استخدم المَثَل قصد أنْ يساعد الناس لكي ينظروا إلى ذواتهم بموضوعية بهدف أنْ يعترفوا بحالتهم الحقيقية. وقد استخدم اللهُ الطريقة ذاتها بطريقة فعالة مع الملك داود (قارن ٢صموئيل ١٢: ١-١٣)، وهو إذ أطلق على ذلك النشيد «نشيد الحب» فقد أظهر منذ البداية دافعه تجاه شعبه. فعلاقته بهم تجد أصلها في صفاته التي هي محبة (١يوحنا ٤: ٨). وهو يتوقع في المقابل استجابة محبة منهم، ولكنهم عوض أن يخرجوا عِنَبًا أخرجوا عِنَبًا رَدِيئًا.

ماذا قصد الله بقوله في إِشَعْيَاء ٥: ٤، «مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟»

يقول الله في الآية التالية: «فَالآنَ أُعَرِّفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَرْمِي: أَنْزِعُ سِيَاجَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّعْيِ. أَهْدِمُ جُدْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدَّوْسِ. وَأَجْعَلُهُ خَرَابًا لاَ يُقْضَبُ وَلاَ يُنْقَبُ» (إِشَعْيَاء ٥: ٥، ٦).

عندما نخطئ فالله لا يبادر على الفور برفع حمايته عنَّا وإهلاكنا، بل هو بالأحرى يصير علينا ويهبنا الفرصة لقبول الغفران (قارن ٢بطرس ٣: ٩). لا يحجب الله وجهه أبدًا عن أي إنسان يستجيب له. إنَّه يلتمس إلينا ويناشدنا طالما وجد رجاء بالاستجابة. وإذا رفضنا الاستجابة فهو لا يرضى على الفور برفضنا. هذا لأنه يعلم جهلنا ويدرك أنَّ الْخَطِيَّة قد خدعتنا، ولكننا إذا داومنا على الرفض فإنه سيحترم اختيارنا في النهاية ويتركنا حيث نريد البقاء (قارن رؤيا ١١:٢٢).

إذا نحن أصرينا بعناد على رفض التماسات الله من خلال روحه القدّوس، فقد نصل إلى نقطة اللاعودة في النهاية (متى ١٢: ٣١، ٣٢). إنّ التحوّل بعيدًا عن المسيح أمر خطير (عبرانيين ٦: ٤-٦). الله محدود فيما يستطيع أن يفعله من أجلنا، وذلك لأنه يحترم حرية اختيارنا.

تأمل في الفكرة الواردة في إِشَعْيَاء ٥: ٤، «مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي؟» في ضوء الصليب حيث قدَّم الله نفسه كذبيحة من أجل خطايانا ودفع بدمه جزاء تعدينا على ناموسه. فماذا أيضًا كان يمكن أن يصنع لنا غير ما فعله الله على الصليب؟ كيف يعمل تركيزنا على ما تمَّ على الصليب على منحنا يقين الخلاص ويحثنا على التوبة وتغيير طرقنا؟

الجمعة

١ كانون الثاني (يناير)

لِمَزِيد مِنْ الدَّرس: حول مضمون ما جاء في إِشَعْيَاء ٤: ١ كتبت روح النُّبُوَّة تقول «لقد انفصل شعب الله المدَّعين، عن الله ففقدوا حكمتهم وحرَّفوا إدراكهم ولم يستطيعوا أن يتطلعوا إلى بعيد لأنهم نسوا أنهم قد تطهروا من خطاياهم السالفة. لقد تحركوا بقلق وعدم يقين تحت جنح الظلام ساعين لأن يطمسوا من عقولهم ذكرى الحرية واليقين والسعادة التي كانت لهم سابقًا، فغاصوا أكثر في بالوعة التصلف والحماقة والجنون وأخذوا يقاومون حوادث العناية الإلهية فزادوا من حركة الإثم الذي ثقلت به كواهلهم، لقد أصاخوا السمع لاتهامات الشيطان ضد صفات الله، وصوروا الله على أنه مجرد من الرحمة والغفران» (موسوعة الأدفنتست لتفسير الكِتَاب المُقَدَّس، مجلد ٤، صفحة ١١٣٧).

أسئلة للنقاش

١. «اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا.» (إِشَعْيَاء ١: ١٩)، ما معنى هذه العبارة؟ وكيف لك أن تغتسل؟ (راجع فيلبي ٢: ١٢، ١٣).

٢. كيف طبَّق المسيح وتوسع في نشيد الحبيب عن كرمه؟ متى ٢١: ٣٣ - ٤٥؛ مرقس ١٢: ١-١٢؛ لوقا ٢٠: ٩-١٩. ما هي الدروس التي نجدها لنا في هذا المَثَل بوصفنا أدفنتست سبتيين؟

٣. ما هي العلاقة بين الغفران الذي يقدمه لنا الله وبين التغيير الذي ينجزه في حياتنا؟ وأيهما يأتي أولًا، التغيير ثم الغفران، أَمْ الغفران ثم التغيير؟ ولماذا من المهم أنْ نعرف أيهما يأتي أولًا؟

٤. تقول روح النُّبُوَّة في الاقتباس السابق أن الناس قاوموا حوادث العناية الإلهية. فماذا يعني ذلك؟

مُلَخَّص الدَّرس: عندما ينسى شعب الله خالقهم، ويأخذوا بَركاته كأمرٍ مُسلّم به، فإنه يذكرهم بمسؤوليتهم المتضمنة في عهدهم معه. وهو في رحمته يوجّه نظرهم إلى حالتهم الحقيقية وينذرهم بالنتائج المدمرة المترتبة على الابتعاد عن حمايته ويحثهم على السماح له بشفائهم وتطهيرهم.